ومرو، وكان منصب الخان او الأمير هدفا لكل قبيلة او عشيرة تشعر بقوتها للقيام بمغامرة لدفع احد زعمائها اليها، وحينما تنجح العشيرة في مغامرتها تلك، فان الصراع حول منصب الخان ينشب بين افردها او بين أفراد أسرة الامير نفسه، وهذا الوضع أدى الى تفتت البناء الاجتماعي والسياسي للامارات. وقد استغلت روسيا هذا التفكك وأخذت تدعم العناصر المتمردة، الأمر الذي أدى الى تصدع الجبهة الداخلية في أمارتي خوقند وبخارى. وكانت هذه الامارات من الضعف بحيث انها لم تتخذ اجرآت فعالة على مستوى جميع الامارات، وتقوقعت كل امارة داخل حدودها تنتظر الغزو الروسي، ونجحت روسيا في إثارة العداوة بين الامارات، ومن ثم دفعتها الى معارك جانبية فيما بينهم لاستنزاف طاقاتهم البشرية والاقتصادية لتحقيق سياستها التوسعية.

السيطرة الروسية على أواسط آسيا

اعتمدت القوات الروسية في السيطرة على الامارات الاسلامية أسلوب الحصار والخندقة، وكانت اسلحتها اكثر تطوراً من اسلحة القوات الاسلامية في حين اعتمدت القوات الاسلامية في معاركها مع الروس على اسلوب الكر والفر، على الرغم من ذلك لم يكن الطريق سهلا امام القوات الروسية، فقد احرجت قوات خوقند الجيش الروسي في مدينة طشقند، ولم تنجح روسيا في بسط سيطرتها على خوقند، الا بعد ان قطعت مياه نهر شيرشيك (الذي يعتبر المصدر الرئيسي لامداد خوقند بالمياه) واستطاعت في النهاية ان تستولي على خوقند في ٢٨ ايار ١٨٦٥، وكذلك تصدت قوات بخارى للقوات الروسية في جيزاك، مما اضطر القوات العسكرية في تركستان الى طلب الهدنة مع بخارى، وحينما تجددت الاشتباكات بين الطرفين نجح البخاريون في محاصرة القوات الروسية الموجودة في سمرقند، وفتحوا على الروس عدة جبهات، الأمر الذي دفعهم الى بعثرة قواتهم، ولم يستطع الروس القضاء على قوة بخارى، الا بعد استمالة الحاكم العام لتركستان الجنرال كوفمان (Kufman) لاحد القادة البخاريين، وبذلك نجح في تصديع الجبهة البخارية، ولم يجد امير بخارى مظفر الدين خان غير

الطرفين، الا ان السلطات الروسية وضعت شروطا للدخول في مباحثات مع أمير خيوة ركزت على الاعتراف بالوجود الروسي على الشاطىء القوقازي من بحر قزوين، وإطلاق سراح الأسرى الروس وإرسال مندوب عنها الى مدينة طشقند للتفاوض مع السلطات الروسية هناك، والواقع ان هدف الروس كان اخضاع خيوه للنفوذ الروسي مع الاحتفاظ بكيانها الاجتماعي والاقتصادي مع الاخذ بالاعتبار تنمية المصالح السياسية والتجارية معها. وكان هذا جزء من سياسة مرحلية تبدأ بالسيطرة لتنتهي بالضم.

أدرك امير خيوه "محمد رحيم" النوايا الروسية بعد تجمع القوات الروسية بالقرب من قزيل اروات، فبادر الى اطلاق سراح ٢١ روسيا كانوا محتجزين في اراضيه، ولكن الروس لم يستجيبوا لهذه المبادرة السلمية وواصلوا التقدم في الاراضي الخيويه حتى اقتربوا في ٢٦ ايار عام ١٨٧٣ من خيوه نفسها، وحاول "محمد رحيم" الوصول الى اتفاق معهم واظهر ميله الى القبول بالشروط الروسية ولكن القيادة الروسية رفضت عرض الامير وطالبته بان يستسلم بدون أي قيد او شرط، وحينما شعر الامير بان القوات الروسية لامحالة متقدمة نحو العاصمة قرر الهرب الى الاراضي التركمانية، فدخلت القوات الروسية العاصمة (خيوه) دون مقاومة تذكر، وشكلوا مجلسا لادارة دفة الامور في البلاد الذي تكون من ثلاثة ضباط روس وتاجر من طشقند وثلاثة من اشراف خيوه، وأرسل الجنرال الروسي الى الامير الخيوي يطالبه بالعودة الى خيوه، وتوعده بالانتقام منه إذا رفض الخضوع له ولم يكن امام الامير سوى الاستجابة للطلب الروسي، ولاسيما انه فشل في تجميع قوات جديدة من حوله، وكان الجنرال كوفمان قد وعده بان يعيده ثانية الى السلطة في خيوه. عاد الامير محمد رحيم الى خيوه، وسلم نفسه ووزرائه الى القائد الروسي، وأعلن عن استعداده لقبول جميع المطالب الروسية، وأصدر منشوراً في ١٢ حزيران عام ١٨٧٣ اعلن فيه تحرير جميع العبيد الروس وانهاء الرق، وعقد معاهدة مع القائد الروسي كوفمان في ١٢ اب عام ١٨٧٣ أعلن فيها خضوعه التام الى القيصر الروسي، واستمرار علاقات حسن الجوار مع الامارات المجاورة ومواصلة التبادل التجاري معهم على ان يحصل

سبقا على موافقة روسيا، وكانت روسيا تهدف من وراء هذا إلى تنمية التجارة في المنطقة، ومن ثم تنشيط التبادل معها، وتعهد بعدم القيام بحركات عدوانية ضد الامارات المجاورة لها. ونصت المعاهدة أيضا على ان يكون نهر جيحون الحد الفاصل بين الدولتين، وعلى ذلك فان جميع الراضي تقع على الشاطئ الايمن للنهر السابق والتي كانت فيما سبق اراض تابعة لخيوه أصبحت خاضعة للسيطرة الروسية، بل وأعطت المعاهدة الحكومة الروسية حرية التصرف فيها كأن تتنازل عنها للتجارة، وانه لا مناص للامير في مثل هذه الحالة الا الاقرار بذلك، كان ذلك يعني خطة لسلب الاراضي الخيويه التي تقع على الجانب الايمن للنهر السابق وجزء من مخططها الذي يرمي الى السيطرة على المنطقة تدريجيا. وأعطت المعاهدة حرية مرور القوارب الروسية والخيوية في نهر جيحون بشرط ان تحصل على تصريح من حكومة وسط آسيا الروسية، ومنحت روسيا حق بناء ارصفة عائمة او مراس بحرية او مستودعات لتخزين البضائع في أي مكان تجده ملائماً – او ضرورياً لها على شاطىء نهر جيحون وانيطت مسؤولية حماية تلك المراسي او الارصفة او المستودعات لسلطات خيوه. كما نصت المعاهدة على فتح جميع المدن والقرى الجنوبية بدون استثناء امام التجارة الروسية، ومنح التجار الروس حرية التنقل في جميع انحاء الامارة، وتكون سلطات خيوه مسؤولة عن سلامتهم وبعض التجار الروس من الزكاة، وتفرض عليهم نفس الضرائب المفروضة على تجار خيوه على ان تكون اجراءت تحصيلها على وفق قواعد يتفق عليها الطرفان. واعطت الاتفاقية حق التملك لرعايا الروس في خانة خيوه ووافقت خيوه على محاكمة الرعايا الروس بمقتضى قانونهم الخاص، ولا تعطي حق اللجوء في اراضيها للمهاجرين من روسيا، الا بعد حصولهم على تصريح من السلطات الروسية والا تقبل الفارين. وبعد توقيع المعاهدة وتوطيد الوجود الروسي في خيوه، انسحبت القوات الروسية منها، وأعيد الامير الى الحكم وكان يديره هذه المرة من خلال السيطرة الروسية المتمركزة في اراضيه فسلطته حددت بديوان او المجلس يتكون من سبعة اشخاص، وكان الامير هو صدى المجلس فلم يعد يملك من ادارة البلاد

غير سلطة الفصل في المنازعات التي كانت تقع بين افراد رعيته وتعيين حكام المقاطعات، وكانت جلسات المجلس او الديوان تنعقد بالقرب من المعسكر الروسي، فلم يكن الامير او غيره يجرؤ على معارضة ما تهدف اليه روسيا من قرارات وما شابه من ذلك.

اما شعب خيوة فعلى الرغم من انسحاب القوات الروسية من اراضيه، الا انه ظل يشعر بالخطر الروسي، ولم يوافق على المعاهدة التي عقدها الامير مع الروس ولم يظهر معارضته تلك، الا في الوقت الذي بدأ فيه الامير جمع الاموال لتسديد القسط الاول من الغرامة، ورفض الاهالي في قوقان دفع الغرامة، وقاموا باحتجاز الخزينة الاميرية فيها، الامر الذي يوضح مدى التذمر الشعبي من الوجود الروسي في الاراضي الخيوية، مما أثار سخط السلطات التي وقعت بقواتها من جديد الى خيوه، ونجحت في السيطرت على القبائل الثائرة الرافضة للوجود الروسي، وسيطرت عليها عسكريا.

اما بخارى فظلت تراقب عن بعد سير الاحداث، وحينما وجد اميرها ان الموقف في صالح روسيا ارسل مهنئا القيصر على النجاح الذي حققته قواته في خيوه وشكره على الاراضي التي ضمت لبخارى، واعتبر ذلك تأكيداً لرابطة الصداقة بين روسيا وبخارى (وكانت روسيا قد تنازلت لبخارى عن بعض الاراضي الخيوية التي تقع غربي بخارى).

التوسع الروسي في المنطقة التركمانية

بعد ان بسطت روسيا سيطرتها على بخارى وطشقند وسمرقند وخيوه، أنشأت قواعد عسكرية على شواطى بحر قزوين، وقد ساعدها على ذلك نهر الفولجا الذي يعتبر طريق المواصلات السهل والأمن الذي يجنب روسيا مشقة إرسال قواتها عن طريق اونبرج وخيوه، وقد وجدت روسيا بعد انتشارها العسكري ان الاراضي التركمانية أصبحت تتوسط مابين خيوه وبحر قزوين وتقطع عليها سبيل الاتصال المباشر، ولذلك كانت روسيا تتجنب إرسال القوافل

الحدودية عبر الاراضي التركمانية لان التركمان كثيرا ماكانوا يشنون الغارات على تلك القوافل ويأسرون بعض رجالها

تحركت القوات الروسية في ربيع عام ١٨٧٧ نحو قزيل اروات، وسيطرت عليها وأدى هذا الانتصار الى شعور القبائل التركمانية الاخرى بان روسيا هي القوة الوحيدة في المنطقة، ولذلك سارعت بعض القبائل التي كانت مترددة من قبل في الدخول تحت السيطرة الروسية، وبهذا تمكنت من ربط اراضيها في خيوه بشاطىء بحر قزوين.

ومع بداية عام ١٨٨٠ توجهت روسيا نحو التل الازرق، فأنشأت خطاً حديدياً لتوفير سبل المواصلات وعينت الحكومة الروسية الجنرال سكوبيليف Skobegeff قائداً على اقليم قزوين وسيطرت على حصن بامي (Bami) في ١٨ تموز عام ١٨٨٠، مما مكن روسيا من فتح طريق جديد للمواصلات الروسية مابين خليج ميخائيل على بحر قزوين وقزيل اروات، وفي ٢٠ كانون الاول اقتحم القائد سكوبيليف قلعة قانجي على مقربة من التل الازرق من جهة الجنوب، ومع بداية عام ١٨٨٢ سيطرت على الحصن واستمرت العمليات العسكرية الروسية الى ان استطاعوا ضم الاراضي الواقعة بين قزيل اروات وعشقباد الى الامبراطورية الروسية.

اما مرو التي كانت في ازمان سابقة جزء من ممتلكات خيوه، فرغبت روسيا بضمها، اذ ارسل الحاكم العام لطشقند الى خان خيوه يطلب منه ارسال مبعوث الى مرو يطالب سكانها بتنفيذ الشروط الروسية، وبعدم قيام القبائل التركمانية بغارات على الاراضي الروسية، وكان هدف الروس هو احياء تبعية مرو الى خيوه وبالتالي ومن ثم للسيطرة الروسية، وعند وصول المبعوث الروسي الى مرو كانت قبائلها تتدارس الموقف فيما بينها، وقررت الموافقه على الشروط الروسية، وكونت وفدا ضم ٢٤ من زعمائها لمباشرة المفاوضات مع الحكومة الروسية عن طريق خيوه، وأرسلت اثنين منهم كان بحوزتهما تواقيع زعماء مرو الى سينت بطرسبورج للاعلان عن رغبتهم في الخضوع للسيطرة الروسية،

أثار هذا السلوك سخط الحكومة الروسية، واصبحت مرو جزء من الامبراطورية الروسية.

وما ان تم للروس احتلال تركستان حتى اخضعوا حكوماتها لوزارة حربيتهم تتصرف في كل شؤونها بما تراه لتبداء بعد ذلك ابتدأ من عام ١٨٩٠ حتى عام ١٩١٧ حركة روسيا الاستعمارية واستيطانية وفي تدفق متزايد، فقد قدم الى تلك البلاد ما يزيد على المليون ونصف المليون من الروس المعدمين في اغلبهم، انتزعوا اغلب الاراضي الزراعية من أيدي أصحابها في حين استولت المصارف الروسية على ما تبقى من الاراضي في أيدي الفلاحين التركستانيين من الذين أعجزهم سوء الاحوال عن الوفاء بما كانوا قد اقترضوه من تلك المصارف.

بث الروس بعد دخولهم لتلك البلاد الدعاية الروسية، وأعلنوا عزمهم على نشر الثقافة الروسية بها والقضاء على الوجود الاسلامي في تلك البلاد، ولم يسمحوا للمسلمين بفتح المدارس او المعاهد الاسلامية في تركستان، وفتحوا عدداً من المدارس الروسية وجعل لغة التدريس فيها الروسية، وانطلق المبشرين الروس في تركستان لتحريض السكان على الدخول في المسيحية دين القيصر وعقيدة دولته الرسمية، ولكن استجابة السكان كانت لهم ضعيفة.

بعد احكام السيطرة الروسية على تركستان وقيام الثورة البلشفية أسست جمهوريات شعبية، ففي خانة خوارزم أسست جمهورية روسية بلشفية في شباط عام ١٩٢٠، وفي بخارى أسست جمهورية على نفس النمط في ٥ آب من العام نفسه، وشكلت مناطق الحاكم العام لتركستان جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن جمهورية روسيا الاتحادية في ١١ نيسان عام ١٩٢١، ثم قررت المجالس الروسية البلشفية لتركستان وبخارى وخوارزم ان تعيد تقسيم مناطقها تبعا للاصول العرقية في خريف عام ١٩٢٤، وهكذا أصبحت كل من خوارزم وبخارى جمهوريات اشتراكية، واكتملت اعادة توزيع المناطق في ايار عام ١٩٢٥ عندما ظهرت للوجود جمهوريات اوزبكستان و تركمانستان و طاجكستان والحق الكازاك مع بقية تركستان بجمهورية كازاخستان ذات الحكم الذاتي، ثم مالبثت هذه الجمهورية ان تحولت الى جمهورية اتحادية عام ١٩٣٦، اما قرغيزيا فقد أصبحت بعد التقسيم العرقي جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن روسيا الاتحادية في

[illegible] ١٩٢٦، واخيرا في كانون الاول عام ١٩٣٦ اعلنت قرغيزيا جمهورية [illegible] ضمن الجمهوريات الخمسة عشر المؤلفة للاتحاد السوفيتي*. وقد كان [illegible] الكرملين في حينه ان يبرز هذه الجمهوريات الى الوجود كوحدة اثنية [illegible] واحدة كجمهورية تركستان. لكنه تجنب وجود دولة قومية اتحادية ذات [illegible] متعددة وارث ثقافي معروف. كانت اهم سمات حقبة الحكم السوفيتي التي [illegible] لها هذه الجمهوريات هو تعرضها لعملية غزو واستيطان من خارجها [illegible] الاغلبية الاسلامية وخلق تجمعات اثنية تجعل من الصعوبة على [illegible] المواطنين الاصليين المطالبة بحقوقهم ، ولم تكن تلك الجمهوريات سوى مستعمرات سوفيتية، وكان اكبر تدخل في حياة هذه الجمهوريات عندما قطع حاضرها عن ماضيها بالغاء الحروف العربية التي كانت تكتب بها لغتها واستخدام الحرف السلافي الروسي.

الحركة الوطنية في تركستان

شكلت منطقة تركستان أهمية لاسيما لدى القادة الشيوعيين نظرا لأهميتها في المخطط الشيوعي حيال الامم الشرقية، اذ كتب لينين في مقالة نشرت عام ١٩٢٠ "ان بلوغ آسيا الوسطى مرتبة تستطيع معها ان تحمل مشعل الاشتراكية في العالم الشرقي ولا تعتبر مسألة داخلية مهمة فحسب، ولكنها ذات أهمية دولية عظمى أيضا"، ودأبت الصحافة السوفيتية تردد بعناية لاسيما قول لينين "ان تركستان عتبة الشرق" وفي منشور عام وجهة ستالين في ١٢ شباط عام ١٩١٩ الى مندوبي تركستان السوفيتية والى فروع الحزب جاء فيه "ان من

* تكونت اوزبكستان من اجزاء من حكومة تركستان وخانة خيوه وامارة بخارى اما جمهورية تركمانستان فمن منطقة قزوين التركستانية مع اجزاء من خانة بخارى واجزاء قليلة من خوارزم،بينما ضمت جمهورية كازاخستان اعلى مناطق نهر سيحون واجزاء من سمرقند وجيمكنت، كما الحق بها القرة قليق، اما طاجكستان فقد ضمت الجزء الشرقي من امارة بخارى وقسماً من واحة زرقشان من منطقة سمرقند، اما قرغيزستان فكانت جزء من اوزبكستان ثم فصلت عنها واصبحت تضم مناطق القرغيز.